﴿إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾ [الإسراء: 75]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

الوعيدُ الشّديد لِمَـنْ يـركـن إلى المشركين

لـمّا كان الرّسول ﷺ معصومًا عن الرُّكونِ للمشركين، ولمّا كان غيرُه ليس بمعصومٍ؛ فقد أَردفَ اللّه تحذيرَ أُمّته بالوعيد الشديدِ لئلّا يَركَنَ أحدٌ منهم إلى المشركين في شيءٍ من أحكام اللّه تعالى وشرائعه[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿لَّأَذَقْنَٰكَ﴾: أصلُ (ذوق) يدلُّ على اخْتِبار الشَّيْءِ مِنْ جِهَةِ تَطَعُّم، ثُمَّ يُشْتَقُّ مِنْهُ مَجازًا فَيُقالُ: ذُقْتُ المَأْكولَ أَذوقُهُ ذَوْقًا، وذُقْتُ ما عِنْدَ فُلانٍ: اخْتَبَرْتُهُ[2]، وذَوَّقَهُ الطَّعامَ: جَعَلَهُ يَخْتَبِرُ طَعْمَهُ بِلِسانِهِ، والذَّوْقُ أيضًا: طَعْمُ الشَّيْءِ، وفي كِتابِ الخَليلِ: كُلُّ ما نَزَلَ بِإِنْسانٍ مِنْ مَكْروهٍ فَقَدْ ذاقَهُ[3]، والمُرادُ بالإذاقَةِ في الآيَةِ: مَجازٌ في الإصابَةِ، وذِكْرُ الإذاقَةِ هنا في مقام التَّحذير يُنبِئُ بِأَنَّها إذاقَةُ عَذابٍ[4].

2) ﴿ضِعْفَ﴾: أصلُ (ضعف) يَدُلُّ على أَنْ يُزادَ الشَّيءُ مِثْلَهُ، قالَ الخَليلُ: أَضْعَفْتُ الشَّيءَ إِضْعافًا، وضَعَّفْتُهُ تَضْعيفًا، وضاعَفْتُهُ مُضاعَفَةً، وهو أَنْ يُزادَ على أَصْلِ الشَّيءِ فَيُجْعَلَ مِثْلَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ[5]، وهو مِنَ الأَلفاظِ الدّالَّةِ على مَعْنًى نِسْبِيٍّ يَقْتَضي وُجودَ مَعْنًى آخَرَ، كالزَّوْجِ والنِّصْفِ، ويُخْتَصُّ بالمِقْدارِ والعَدَدِ، وقَدْ يُسْتَعْمَلُ فِعْلُهُ في مُطْلَقِ التَّكْثيرِ؛ وذلكَ إِذا أُسْنِدَ إلى ما لا يَدْخُلُ تَحْتَ المِقْدارِ، مِثْلَ

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 7/ 90.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ذوق).
(3) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة، وابن سِيدَه، المُحكَم: (ذوق).
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 176.
(5) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللغة: (ضعف).

العَذابِ في قَوْلِهِ تَعالَى: ﴿يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ [الفرقان: 69]، والمُرادُ بالضِّعْفِ في الآيةِ: تَكريرُ المِقْدارِ وتَكْريرُ القوَّةِ، وأُطْلِقَ هُنا على القَوِيِّ الشَّديدِ؛ لِعَدَمِ حَملِ الضِّعْفِ على حَقيقَتِهِ، إذْ لَيْسَ ثَمَّ عِلْمٌ بِمِقْدارِ العَذابِ يُرادُ تَضْعيفُهُ[1].

3) ﴿ٱلۡمَمَاتِ﴾: أَصْلُ (موت) يَدُلُّ على ذَهابِ القوَّةِ مِنَ الشَّيءِ[2]، يُقال: ماتَ، يَموتُ، مَوْتًا، فهو مَيِّتٌ، وجَمعُه: أمواتٌ، ومَيِّتون، ومَيْتون، ويُطلَق أيضًا على مَن في حُكْمِ الميِّتِ وليس به، ويُجْمَعُ على مَوْتَى وأَمواتٌ[3]، والمَحْيا والمَماتُ: مَصْدَرانِ ميميّانِ أَوِ اسْما زَمانٍ، مِنْ حَيِيَ وماتَ، والمقصود بالمماتِ في الآية: ما بعد الحياةِ.

4) ﴿نَصِيرًا﴾: أصلُ (نصر) يَدُلُّ على إتْيانِ خَيْرٍ وإيتائِهِ، فالنَّصرُ: عَوْنُ المظلوم، والنُّصْرة: حُسْنُ المَعونة[4]، والنَّصير فَعيلٌ بِمَعْنَى فاعِلٍ أَو مَفْعولٍ؛ لأَنَّ كُلَّ واحِدٍ مِنَ المتَناصِرَيْن ناصِرٌ ومَنْصورٌ، والاسْتِنْصارُ: اسْتِمدادُ النَّصْرِ، والتَّناصُر: التَّعاون عَلَى النَّصْرِ[5]، والمُرادُ بالنَّصيرِ في الآية: المُخَلِّصُ مِنَ الغَلَبَةِ أَوِ الَّذي يَثْأَرُ لِلْمَغْلوبِ[6].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

كـلَّـمـا كـانـت الـدَّرَجـةُ أعلى؛ كان العذابُ عند المُخالفةِ أعظَمَ

يُخبر اللّه تعالى عمّا كان سيترتب على الرُّكون إلى المشركين - على سبيل الفَرض - من عِقابٍ، فقال سبحانه: (لو قاربتَ الرُّكونَ إليهم يا محمَّد ﷺ لجمعنا عليك عذابًا مُضاعفًا في الدُّنيا والآخرة،

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8 - ب/ 122، 15/ 176.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (موت).
(3) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن فارس، مقاييس اللغة، وابن سِيدَه، المحكم، وابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، وابن منظور، لسان العرب: (موت).
(4) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللغة: (نصر).
(5) الرّاغب، المُفردات، وابن منظور، لسان العرب: (نصر).
(6) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 177.

حيث يكون هذا العذاب ضِعفَ ما يُعَذَّبُ به غيرُك في الدّارَيْن إذا فعل مثل هذا الفعل)؛ لأنَّه كلما كانت الدرجة أعلى والمنزلة أسمى؛ كانت المؤاخذة على الخطيئة أشدَّ وأقوى، ثمَّ لا تَجِدُ لك ناصِرًا يَنصُرُك ويَمنَعُك مِن عذابِنا[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

علّة فَصْلِ هذه الآية عمّا قبلها:

فُصِلَ قوله تعالى: ﴿إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ﴾ عن الآية السابقة وهي قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا﴾ لوقوعها جزاءً لها؛ والمعنى: لو تركن إليهم لأذقناك ضِعفَ الحياة وضِعفَ الممات[2]، ففُصِلَتْ فَصْلَ جزاءِ الشّرط عن فعله.

التحذير من جزاء الرّكون إلى الكفّار

معنى ﴿إِذًا﴾ ودلالتها:

صُدِّرَ قوله تعالى: ﴿إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ﴾ بحرف ﴿إِذًا﴾ الدّالِّ على الجزاء، بمعنى أنّك لو تركن إلى المشركين لكان جزاؤك أن نُذيقك ضِعفَ عذاب الحياة، وضِعفَ عذاب الممات، ولِما في (إذن) من معنى الجزاء استُغني عن ربط الجملة بحرف التّفريع، والمعنى: لقد كِدتَ تركنُ فلَأذقناكَ، قال ابن عباس: كان الرسول ﷺ معصومًا، ولكن هذا تعريفٌ للأُمَّةِ لئلّا يَركنَ أحدٌ منهم إلى المشركين في شيء من أحكام الله تعالى وشرائعه[3].

توجيهُ الأُمّةِ بعدم الرّكون إلى المشركين

معنى اللّام ودلالتها:

اتّصل في قوله تعالى: ﴿إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ﴾ حرف (اللّام) بالفعل ﴿لَّأَذَقْنَٰكَ﴾، وهذه اللّام هي

دلالة اللّام على القَسَم المُقَدَّر

(1) ابن جرير، جامع البيان: 15/ 18، والسَّعدي، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 464، ومجمع البحوث، التّفسير الوسيط: 5/ 788.

(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 176.

(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 7/ 90.

اللّام الموطِّئةُ للقَسَم، فيكون التّقدير: (واللّه إنْ حصل ركونٌ ليَكونَنَّ كذا)[1].

دلالة الفعل الماضي في الآية:

الـشّـرطُ يُفيد الاستقبالَ وإن كان فعله ماضيًا

في قوله تعالى: ﴿إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ﴾ آثر القرآنُ الكريمُ استعمالَ فعل ﴿لَّأَذَقْنَٰكَ﴾ ماضيًا في جملة شرطيّة، وذلك لأنّ ﴿إِذًا﴾ تقتضي الاستقبالَ لأنّها من حيث المعنى جزاءٌ فيُقَدَّر موضعُها بأداة الشرط[2]، وقد ذهب النُّحاة إلى أن الشّرط يُفيد الاستقبالَ وإنْ كان فعلُه ماضيًا، فإن أدواتِ الشرط تقلِب الماضي إلى الاستقبال، ولا يُفيد الشرط المُضيَّ، بل كل ما ورد من ذلك مُؤَوَّل[3]، فيكون المقصود أنّه لو حصل أدنى ركونٍ منك إلى المشركين لكان جزاؤك أن نُذيقَك ضِعفَ عذاب الحياة، وضِعفَ عذابِ الممات[4].

بلاغة الاستعارة في الآية:

شيـوع التّعبير بـــالإذاقـــة في البلايا

تضمّن قوله تعالى: ﴿إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ﴾ استعارَةَ لفظ (الذّوق) للإصابة بجامع الإحساس، على طريقة الاستعارة المَكنيَّةِ التّخييليَّة، وذلك لأنّ الإذاقةَ كادت تجري عند العرب مجرى الحقيقةِ لشيوعِها في البلايا؛ فيقولون: ذاقَ فلانٌ البؤسَ والضّرر، فشبّه ما يُدرَك منهما من أثر الضّرر والألم بما يُدرك من طعم المُرِّ البَشِع[5].

معنى اللّام في ﴿ٱلْحَيَوٰةِ﴾:

دلالـــة تعـريف الـجـنـس على حقيقة الشيء

عُرِّف لفظُ ﴿ٱلْحَيَوٰةِ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ﴾

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 7/ 90.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 7/ 89.
(3) فاضل السامرائي، معاني النحو: 4/ 63.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 176.
(5) درويش، إعراب القرآن: 5/ 376.

بـ(ال) الدّالَّةِ على تعريف الجنس؛ أي الحياة الّتي يحياها كلُّ أحدٍ المعروفة بالدّنيا؛ أي الأولى والقريبة من النّاس، وأُطلقتِ الحياة الدّنيا على أحوالها، أو على مُدَّتِها[1].

دلالة حذف الموصوف في الآية:

قَـذْرُ الخطأ على قَدْر مُرتَكِبِه

ذُكِرَ في قوله تعالى: ﴿إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ﴾ صفةً ﴿ضِعْفَ﴾ لموصوفٍ محذوفٍ وهو (العذاب)، والمعنى: لوقاربتَ أن تركنَ إليهم أدنى رُكنة لأذقناكَ عذابًا ضِعفًا في الحياة وعذابًا ضِعفًا في الممات؛ بمعنى: مُضاعفًا، ثم حُذف الموصوفُ وأُقيمت الصِّفةُ مُقامَه ثم أضيفت إضافةَ موصوفِها، فقيل: ضعف الحياة وضعف الممات، كما لو قيل: أذقناك أليمَ الحياة وأليمَ الممات، والمعنى ضِعفَ ما يُعذَّب به في الداريْن بمثل هذا الفعلِ غيرُك؛ لأنّ خطأَ الخطيرِ خطيرٌ[2].

والنّكتة البلاغية في حذف الموصوف الّذي هو (العذاب) هو تكريمُ مقام النبي ﷺ وإجلاله عن مجابهته بالعذاب، ومن نكت هذه الآية أيضًا التّنبيه على أنّ الذَّنْب يعظُم بحسب فاعله[3]، وذلك أنّ في ذِكْر الكَيْدودَة وتقليلها، مع إتباعها الوعيد الشديد بالعذاب المضاعف في الداريْن – دليلٌ بَيِّنٌ على أن القبيح يعظُم قُبْحُه بمقدار عِظَم شأنِ فاعله وارتفاع منزلته[4].

ونظيرُ ذلك من وجهٍ ما جاء في نسائه ﷺ في قوله تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ [الأحزاب: 30]، وذُكِرَ في وجْهِ مضاعفةِ جزاءِ خطأِ الخطيرِ أنّه يكون سببًا لارتكاب غيرِه مثلَه والاحتجاج به، فكأنّه سَنَّ ذلك، وقد

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/ 193.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السليم: 5/ 188.
(3) درويش، إعراب القرآن: 5/ 480.
(4) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/ 685.

جاء في الحديث: "مَنْ سَنَّ سيئةً فعليهِ وِزْرُها ووِزرُ مَن عَمِل بها إلى يوم القيامة"[1].

سرّ تكرار لفظ (الضِّعْف):

العذاب عذابان عذابٌ في المحيا، وعذابٌ في الممات

جاء في قوله تعالى: ﴿إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ﴾ لفظُ ﴿ضِعْفَ﴾ مُكرَّرًا، والنكتةُ في تكريره أنّ العذاب عذابان: عذابٌ في الممات وهو عذاب القبر، وعذابٌ في حياة الآخرة وهو عذاب النار، والضِّعْفُ يوصَف به، نحو قوله: فَآتِهِم عَذابًا ضِعْفًا مِنَ النّارِ، بمعنى: مُضاعَفًا، فكان أصل الكلام: لأذقناك عذابًا ضِعفًا في الحياة، وعذابًا ضعفًا في الممات، ثم حذف الموصوف وأُقيمت الصفةُ مقامَه وهو الضعف، ثم أضيفت الصِّفة إضافة الموصوف فقيل: ضعف الحياة وضعف الممات[2].

دلالة الإضافة في الآية:

دلالـة (في) على الظرفيّة الزمانيّة

أُضيفَ في قوله تعالى: ﴿إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ﴾ لفظُ ﴿ضِعْفَ﴾ إلى ﴿ٱلْحَيَوٰةِ﴾ وإلى ﴿ٱلْمَمَاتِ﴾، وهذه الإضافة على معنى (في)، فإنّ تقدير معنى (في) بين المُتضايفيْن لا يختصّ بإضافة ما يُضاف إلى الأوقات، فالتقديرُ: (لأذقناك ضِعفًا في الحياة وضِعفًا في الممات)[3].

بلاغة الكناية في التّعبير بلفظ الضِّعْفِ:

كنايةُ الضِّعف عـن الـعـذاب الشَّديد

تضمّن قوله تعالى: ﴿إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ﴾ أسلوبًا بيانيًّا في إطلاق لفظ (ضعف)، فهو هنا كناية عن العذاب القويّ الشّديد لعدم حمل الضِّعف على حقيقته إذ ليس ثَمَّ علمٌ بمقدار العذاب فيُراد تضعيفُه كقوله: ﴿فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ

(1) أخرجه مسلم في صحيحه، الحديث رقم: (1017).
(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/ 685.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 176.

ٱلنَّارِ﴾ [الأعراف: 38]، ومعنى ضِعف عذاب الحياة: هو تراكمُ المصائب والأرزاء في مدة الحياة؛ أي العُمُر بزوال ما كان يناله من بهجة وسرور بتمام دعوته وانتظام أمته، ذلك أن يتمكن منه أعداؤه، وعذابُ الممات: أن يموت مكمودًا مُستذَلًّا بين كفّار يرون أنّهم قد فازوا عليه بعد أن أشرفوا على السقوط أمامه[1].

معنى اللّام في ﴿ٱلْمَمَاتِ﴾:

دلالة تعريف الجنس على حقيقة الشيء

عُرِّفَ في قوله تعالى: ﴿إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ﴾ لفظُ ﴿ٱلْمَمَاتِ﴾ بـ(ال) الدّالّةِ على تعريف الجنس؛ أي الممات الذي يموته كلّ أحد، وقال كثيرٌ من أئمة اللغة: الموت انعدام الحياة بعد وجودها[2].

إيثار لفظ ﴿ٱلْمَمَاتِ﴾ على (الموت):

قوة الدّلالة في المصدر الميميّ وتأكيدها

أوثِرَ في قوله تعالى: ﴿إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ﴾ لفظُ ﴿ٱلْمَمَاتِ﴾ على لفظ (الموت) لما يتميّز به لفظ ﴿ٱلْمَمَاتِ﴾ من خصائصَ صرفيَّةٍ ودَلاليَّةٍ، فهو مصدرٌ ميميٌّ، والموت مصدر أصلي، والمصدر الميمي يعمل عمل المصدر الأصلي ويُفيد معناه مع قوة الدّلالة وتأكيدها[3]، وذلك لأنّ المصدر الميمي يصوِّرُ المعنى المصدريَّ واقعًا قائمًا مُتحقّقًا في الوجود، أمّا المصدر غير الميميِّ فيُصَوِّرُ المعنى مُجرَّدًا[4].

وكذلك يحمل المصدرُ الميميُّ في الغالب معه عنصرَ الذات، بخلاف المصدر غير الميمي؛ فإنّه حدثٌ مُجرّدٌ من كل شيء ... هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية: إن المصدر الميمي في كثير من التعبيرات يحمل معنًى لا يحمله المصدر غيرُ الميمي، فإن (المصير) مثلًا يعني

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 176.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/ 376.
(3) عبّاس حسن، النحو الوافي: 2/ 236.
(4) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 2/ 647.

نهاية الأمر بخلاف الصيرورة، ومثله (المآب) و(الإياب) فإن المآب يعني نهاية الأَوْب، وأما الإياب فإنّه الرّجوع ولا يعني منتهى الأَوْب[1].

معنى حرف العطف ﴿ثُمَّ﴾:

عدمُ الخلاص من العذاب أهمُّ من إذاقته

عُطِف في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ بحرف العطف ﴿ثُمَّ﴾، وهو مُستعمَل هنا للترتيب الرُّتْبيّ، وذلك لأنَّ عدم الخلاص من العذاب أهمّ من إذاقته، فرتبتُه في الأهمّيّة أرقى[2].

دلالة الفعل المضارع ﴿تَجِدُ﴾:

دلالة صيغة المضارع على الحال والاستقبال

في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ اختار النَّظْم الكريم التعبيرَ بصيغة المضارع الدّالّة على الاستقبال ﴿تَجِدُ﴾، أي أنّه لو حصل أدنى ركونٍ منك إلى المشركين لكان جزاؤك أن نُذيقَكَ ضِعفَ عذابِ الحياة، وضِعفَ عذابِ الممات، ثم لا تجدُ لنفسك بعد ذلك مَن ينتصر لك فيَصُدَّنا عن إلحاق ذلك بك أو يثأر لك منّا[3].

معنى اللّام في ﴿لَكَ﴾:

عدم وجود نصير يمنع من بأس الله

ورَدَ في قولِهِ تَعالى: ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ استعمالُ حرفِ الجرِّ اللّام مِنْ ﴿لَكَ﴾، وهيَ محمولةٌ على التّعليلِ، أيْ: لن يوجَد لأجلِك أيُّ نصيرٍ يمنعُك من بأس الله، ولن تجدَ لنفسك بعد ذلك مَنْ ينتصر لك فيصدَّنا عن إلحاق ذلك بك أو يثأر لك منّا[4].

معنى حرف الجرّ (على):

دقّة البيان القرآنيّ في اختيار حروف المعاني

تعدّى في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ الفعل ﴿تَجِدُ﴾ بحرف الاستعلاء (على) للدلالة على الاستعلاء والمضادّة، فلا يوجَدُ نصيرٌ يعلو على الله، فالله لا غالبَ له ولا رادَّ لأمره.

(1) فاضل السامرّائي، معاني الأبنية، ص: 31.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 176.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 177.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 177.

دلالة استعمال (نا) في قوله: ﴿عَلَيْنَا﴾:

الافـــتراءُ على العظيمِ عظيمٌ

اتّصل في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ حرفُ الجرّ (على) بضمير (نا) للدّلالة على عظمة الله ﷻ وعلوِّ قَدْرِه وتنزيله منزلة الجمع، لتعدّد صفاته الحميدة ومواهبه الجزيلة، فإنّ مِثلَ هذا التّعبير يُعبِّر به الملوك والعظماء النافذُ أمرُهم ونهيهُم، وفيه أيضًا إدخالُ المهابة في قلوب العباد، فقضاء الله لا غالبَ له، ولا يوجد أيُّ نصيرٍ يمنع من بأس الله العظيم.

بلاغة تقديم الجارّ والمجرور:

دلالـة التّقديم على الاختصاص

تقدّم الجار والمجرور ﴿لَكَ﴾ في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ لنكتةٍ بلاغيَّةٍ وهي الاختصاصُ؛ بمعنى: لن يوجَد لأجلك خصوصًا أيُّ نصير يمنعُك من عذاب الله، ولن تجد لنفسك بعد ذلك مَن ينتصر لك فيصدَّنا عن إلحاق ذلك بك، أو يثأر لك منّا.

دلالة التعبير بـ ﴿نَصِيرًا﴾:

تغايرُ المبنى دليلٌ على تغايُرِ المعنى

في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ اختار النَّظم القرآنيُّ التعبيرَ بلفظ ﴿نَصِيرًا﴾ لقوَّةِ دلالتِه على المعنى، فهو على صيغةٍ من صيغ المبالغة لاسم الفاعل (ناصرًا) للدلالة على تكثير صدور الفعل منه، ويأتي فعيلٌ معدولًا كثيرًا عن فاعل نحو: رحيم، وعليم، بمعنى: راحم، وعالم[1]، وقد ورد وصف الله ﷻ بصفة (ناصرًا) و﴿نَصِيرًا﴾ في القرآن الكريم، فورَدَ وصْفُه سبحانه بلفظ (ناصر) مجموعًا في قوله: ﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾﴾ [آل عمران: 150]، وورد وصْفُه سبحانه بأنّه نصيرٌ في قوله: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾﴾ [النّساء: 45]، فالنّاصر معناه المُيسِّر للغَلَبَة، وأمّا النصير فمعناه: الموثوق منه بأن لا يُسْلِم وليَّه ولا يَخذلُه[2].

(1) الغلاييني، جامع الدّروس العربيّة: 1/ 188.
(2) الحَلِيمي، المنهاج: 1/ 205.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والعشرون،
سورة الإسراء من الآية 06 إلى الآية 77
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والعشرون، سورة الإسراء من الآية 06 إلى الآية 77
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 28 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-25-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 28 : المجلد الثامن والعشرون، سورة الإسراء من الآية 06 إلى الآية 77.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-25-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9844230 بتاريخ 2024/11/05م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»